خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/٥/٩

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين

لقد ذُكر تفصيل معركة مؤتة كما يلي: عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: خرجتُ مع من خرج مع زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهما في غزوة مؤتة، ورافقني مَدَدِيٌّ من المسلمين من اليمن، ليس معه غير سيفه. فنحر رجل من المسلمين جزورًا، فسأله المدديّ طائفةً من جلدٍ، فأعطاه إياه، فاتخذه كهيئة الدرقة (أي التُرس)، ومضينا ولقينا جموع الروم فيهم رجل على فرس له أشقر، عليه سرج مذهّب وسلاح مذهّب، فجعل الرومي يغزو المسلمين، فقعد له المدديّ خلف صخرة فمر به الرومي فعرقبَ فرسَه بسيفه (بعد أن تقاتلا) وخرّ الرومي، فعلاه بسيفه، فقلته، وحاز سلاحه وفرسه.

فلما فتح الله تعالى على المسلمين بعث خالد بن الوليد (إلى هذا اليمني الذي قتل الرومي) فأخذ منه بعض السلب (أي طلب منه أن يودعه عنده). قال عوف: فأتيت خالدا وقلت له: أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالسلب؟ (ولما كان خالد بن الوليد حديث العهد بالإسلام فظن عوف أنه قد لا يعلم بأن الله تعالى قد قضى أن السلب للقاتل، أي مَن قتل أحدًا من العدو فله ما معه من سلاح وغيره) قال خالد بن الوليد: بلى ولكني استكثرته، (أي السلب الذي أخذه اليمني كان أكثر مما ينبغي أن يلقاه) فقلت: لتردّنّه أو لأعرفنّكها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأبى أن يرد عليه. قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقصصت عليه قصة المدديّ وما فعل خالد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد: ما صنعتَ؟ قال: استكثرتُه، فأخذتُ منه شيئًا. قال صلى الله عليه وسلم: رُدَّ عليه ما أخذت منه.

قال عوف: دونكما يا خالد، ألم أفِ لك؟ (أي كيف يمكنك يا خالد أن تأخذ منه هذا المال الآن؟ فرُدَّ عليه الآن، لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد قضى. ألم أقل لك أن تردّ عليه ما أخذته منه. على أية حال، فلما كان عوف يوجه هذا الكلام إلى خالد سمعه النبي صلى الله عليه وسلم) فقال صلى الله عليه وسلم: وما ذاك ؟ فأخبرته. (ولم يخبر

عوف النبي ﷺ قبل هذا عن الواقعة كلها، وبعد ذلك أخبر النبي ﷺ بأنه قال لخالد أن يردّ ما أخذ إلا أن خالدًا لم يستجب له) فغضب رسول الله ﷺ وقال: يا خالد لا ترد عليه (أي قال له بأنني قلت لك أن تردّ ما أخذت منه، ولكن الآن لا تردّ عليه شيئًا. ثم قال ﷺ:) هل أنتم تاركون أمرائي لكم صفوة أمرهم وعليهم كدره.

أي عندما يصبح أحدكم أميرًا، ثم إن قلتم بعد ذلك إن قراره ليس صحيحًا، فبذلك تريدون أن يعود إليكم طهارة أمره أو نقاؤه، وإذا كان هناك أي جانب سيء فيذهب إلى الأمراء، هذا خطأ كبير. وبما أنك أخبرتني بالأمر كله الآن، فأنا أسترد الأمر الأول، وأقول: ما فعله خالد كان صحيحًا. وهنا أراد النبي ﷺ إقامة هيبة الأمير وكرامته، فقال بأنكم بهذه الطريقة تعيّرون الأمير بأنه أخطأ في كذا وكذا. وهذا لا يليق، لذلك، استرَدَّ ﷺ القرار الأول.

عن جابر ﷺ قال: أصيب بمؤتة ناس من المسلمين، وغنم المسلمون بعض أمتعة المشركين، وكان فيما غنموا خاتم جاء به رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: قتلت صاحبه يومئذ، فنفلنيه رسول الله ﷺ.

عن خزيمة بن ثابت ﷺ قال: حضرت مؤتة فبارزني رجل من الروم يومئذ فأصبته، وعليه بيضة (أي خوذة) له فيها ياقوتة، فلم تكن همتي إلا الياقوتة، فأخذتها. فلما رجعنا إلى المدينة أتيت بها رسول الله ﷺ فنفلنيها، فبعتها زمن عثمان بمائة دينار فاشتريت بها حديقة نخل.

قال ابن كثىر: وهذا يقتضي أنهم غنموا منهم (فلم يتلقوا الهزيمة، بل حصلوا على غنائم الحرب، ولم يكن هناك أي مجال للهزيمة. بل كانت هذه استراتيجية عسكرية اعتمدوها، والتي بسببها انسحبوا. على أية حال،) سلبوا من أشرافهم وقتلوا من أمرائهم.

عن خالد بن الوليد ﷺ قال: لقد اندقت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف وما ثبت في يدي إلا صفيحة يمانية.

وقال محمد بن ىوسف: وهذا يقتضي أنهم أثخنوا فيهم قتلا، ولو لم يكن كذلك لما قدروا على التخلص منهم، إذ كان المسلمون ثلاثة آلاف والمشركون أكثر من مائتي ألف، وهذا وحده دليل مستقل لعلوّ كعب المسلمين، والله أعلم.

وقد ذكر ابن اسحاق أن قُطْبَة بن قتادة العُذْري الذي كان على ميمنة المسلمين حمل على مالك بن رافلة، وهو أمير أعراب النصارى، فقتله، وقال قطبة يفتخر بذلك:

طعنت ابن رافلة ابن الأراش   برمح مضى فيه ثم انحطم
ضربت على جيده ضربة   فمال كما مال غصن السَلَم
وسقنا نساء بني عمه غداة   رقوقين سَوْقَ النَعَم

عن أسماء بنت عُميس رضي الله تعالى عنها قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ يوم أصيب جعفر وأصحابه فقال: ائتيني ببني جعفر. فأتيته بهم، فشمهم، وذرفت عيناه، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك؟ أَبَلَغك عن جعفر وأصحابه شيء؟ قال: نعم، أصيبوا هذا اليوم.

قالت: فقمت أصيح واجتمع إلي النساء وخرج رسول الله ﷺ إلى أهله فقال: لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما فإنهم قد شُغلوا بأمر صاحبهم.

أي نصح الناس أن يرسلوا طعامًا إلى بيتهم.

عن أنس رضي الله عنه قال: نعى رسول الله ﷺ وهو على المنبر زيدًا وجعفر وابن رواحة للناس يوم أصيبوا قبل أن يأتيه خبرهم، فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان، حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليهم.

وفي رواية أن سيدنا يعلى بن أمية رضي الله عنه جاء النبيَّ ﷺ بخبر أهل مؤتة.

فقال له رسول الله ﷺ: إن شئت أَخبرني وإن شئت أُخبرك، بخبرهم. أي قال له ﷺ إن الله سبحانه وتعالى أنبأني أنا أيضا فهل تريد أن تخبرني أولا أو أخبرك أنا أولا، فقال: بل أَخبرني يا رسول الله ﷺ.

فأخبره رسول الله ﷺ خبرهم كله فقال: والذي بعثك بالحق ما تركتَ مما حدث لهم حرفا واحدا.

فقال رسول الله ﷺ: إن الله عز وجل رفع لي الأرض حتى رأيت معتركهم ورأيتهم في المنام على سرر من ذهب ورأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سريرَي صاحبيه فقلت: ما سبب ذلك؟ فقيل لي: مَضَيا وتردَّد بعض التردد ثم مضى. وقد ورد ذكر هذا التردد في الخطبة الماضية. إذ قال بنفسه: قد خطر ببالي ألا أقاتل.

وفي رواية: قال رسول الله ﷺ: أُريت جعفر وزيدا وابن رواحة في خيمة من دُرٍ، فرأيت زيدا، وابن رواحة في أعناقهما صدودا، ورأيت جعفرا مستقيما ليس فيه صدود، وقيل لي إنهما حين غشيهما الموتُ اعترضا أو كأنهما صدا بوجهيهما، أما جعفر فلم يفعل وأن الله تعالى أبدل عضديه بجناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء.

وفي رواية أن سيدنا عبد الله بن عمر كلما سلَّم على عبد الله بن جعفر، قال: اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الْجَنَاحَيْنِ.

يقول سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه بيانا لبعض المسائل :

أما المسائل الصعبة فيفهمها البعض ولا يفهمها البعض الآخر. وهناك حاجة إلى أن يشرحها لهم العارفون، لأن عامة الناس إما أنهم لا يتأملون فيها بأنفسهم أو أن قلوبهم لا تكون مهيأة لجذب فضل الله تعالى نتيجة إثم من الآثام. هذه المضامين الصعبة تكون على نوعين بوجه عام. الأول: المضامين العلمية المبنية على فلسفة دقيقة. خذوا مثلا التوحيد، فكل واحد يستطيع أن يفهم من هذه المسألة أن

الله واحد، أما دقائقها الأخرى التصوفية مثل: كيف يؤثر التوحيد على كل فعل من أفعال الإنسان، فهي بحاجة إلى عارف وإلى عالم لشرحها للآخرين إذ لا يقدر كل واحد على أن يستخرج هذه الدقائق، إلا أنه سيفهم حتما أن القرآن الكريم لا يقول بإله آخر. (فقد قال الله ﷻ في القرآن الكريم إنه أحد) والنوع الثاني هو أن هذه المشاكل تنشأ عن مفاهيم لا تكون علمية ولكنها تكون قد ذُكرت بلغة التشبيه والاستعارة. (أي لا تكون بعض المسائل علمية لكنها تتضمن جملا وتعابير مهمة لا يستوعبها الناس، فحين تُذكر يفهمها الناس على عكس المراد تماما).

يتابع حضرته ويقول: إن عامة الناس يستنتجون لعدم فهمهم لغة الاستعارات معاني غير حقيقية. فمثلا حدث في زمن رسول الله ﷺ أنه أمّر زيد بن حارثة قائدا على الجيش للحرب في الشام، وقال: إذا قُتل زيد فليتولّ جعفر بن أبي طالب القيادة، وإذا قُتل جعفر فليتولّها عبد الله بن رواحة، فحدث كما قال النبي ﷺ بالضبط وقُتل زيد وجعفر وعبد الله بن رواحة كلهم ﵃، فتولّى خالد بن الوليد قيادة الجيش وعاد به بسلام وأمان.

عندما وصل هذا الخبر إلى المدينة بدأت النساء اللواتي قُتل أزواجهن، والآباءُ الذين قُتل أولادهم بالبكاء بقدر ما تسمح به الشريعة. فقال رسول الله ﷺ على سبيل العزاء وليس لتجتمع النساء ويبدأن بالبكاء: لا بواكي لجعفر. (إذ كان من أقاربه فأبدى العزاء)، أرى أنه ﷺ لم يقصد من هذا القول قط أن يبكي أحد على جعفر، بل كان المراد منه أن أخانا أيضا قُتل في الحرب ولا نبكي عليه، فلتصبروا أنتم أيضا، (هذا ما كان ﷺ يريد أن ينصحهم به) لأن أقارب جعفر إما كان رسول الله ﷺ أم عليّ ﵁، وما كان لهما أن يبكيا بسبب علوّ مكانتهما، (أي ما كان يليق بالنبي ﷺ ولا بعلي ﵁ أن يصرخا، فكان عندهما إدراك). وعلى أغلب الظن أن رسول الله قال: لا بواكي لجعفر، من منطلق أن أخاه جعفر أيضا قُتل وما بكى عليه. فلما سمع الأنصار- الذين كانوا حريصين دائما على أن يعملوا بكل ما يقوله النبي ﷺ- قولَه ﷺ هذا، قالوا لنسائهم: اترُكنَ البكاء والعويل هنا واذهبن إلى بيت جعفر ﵁ وابكين هنالك. فاجتمعت النساء في بيت جعفر ﵁ وبكين بشدة. ولما سمع رسول الله أصوات البكاء سأل عما يجري. قال الأنصار: لقد قلتَ يا رسول الله أنه لا بواكي لجعفر فأرسلنا نساءنا إلى بيته ليبكين، فهذا هو صوت بكائهن. قال ﷺ: لم أقصد ذلك، فاذهبوا وامنعوهن. (إنما قصدت أن عليكن الصبر كما صبرت أنا) فذهب أحدهم ومنَعهن، فقلن: من أنت لتمنعنا؟ لقد قال رسول الله ﷺ متأسفا: لا بواكي لجعفر، فكيف تمنعنا؟ عاد الأنصاري مع هذا الجواب إلى رسول الله ﷺ لأن بعض الناس يحبون أن يذكروا كل صغيرة وكبيرة عن الآخرين، فقال: إنهن لا ىطعنَي. قَالَ: "فَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ". وهذا تعبير قصد به النبي ﷺ أن اترُكهن وشأنهن وسيسكُتن تلقائيا بعد شيء من البكاء. ولكن الرجل أخذ التراب في قماش وبدأ يحثوه على

رؤوسهن. فقلن: ماذا تفعل يا جاهل؟ قال: لقد قال لي رسول الله ﷺ: احْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ، فلا بد لي مِن فعل ذلك. (هذا كلام مجازي لكنه بدأ ينفذه حرفيا)، ولما علمت السيدة عائشة رضي الله عنها ذلك، زجرته وقالت: لم تفهم قصد النبي ﷺ، إذ كان يريد من قوله هذا أن اترُكهن وشأنهن وسيسكُتن بأنفسهن بعد شيء من البكاء، و لم يقصد ﷺ أن تذر التراب على رؤوسهن. إذن، كان كلام النبي ﷺ المذكور من باب الاستعارة، ولكن الرجل بدأ بإلقاء التراب عليهن عمليا. أحيانا لا يسعى الناس لفهم الكلام المجازي، (الجدير بالملاحظة هنا أن الرجل لم يفهم الكلام إذ لم يكن يملك عقلا كافيا، وفهَّمته السيدة عائشة) ويأخذون منها معنى حرفيا ينافي الحقيقة، وهكذا ينقلب الموضوع رأسا على عقب.

من هذا الحدث يتبين عشق الصحابة ﵃ للنبي ﷺ أيضا، وذكره سيدنا المصلح الموعود ﵁ في موضع آخر بعد ذكر هذا الحدث، فقال:

إن إرسال الصحابة نساءهم للبكاء في بيت جعفر يكشفُ لنا مدى الحب الذي كانت تكنّه قلوبهم لرسول الله ﷺ. لم يدعْهم حبهم الشديد هذا يفكرون فيما قصده النبي ﷺ بقوله هذا، بل أمروا نساءهم فوراً وقالوا: انسين حزنكن واذهبْن وشارِكن رسول الله ﷺ في حزنه.

من هنا يمكنكم أن تدركوا مدى ما في قلوبهم من حب وعشق لرسول الله ﷺ، فبمجرد أن سمعوا قول النبي ﷺ: أما بيت جعفر فلا يُسمَع منه صوت بكاء، ظنوا أنهم قد أخطأوا ببكائهم على شهادة أقاربهم، وأن الحزن الحقيقي هو ما أصاب رسول الله ﷺ.

يقول حضرة المصلح الموعود ﵁: إن هذا حادث بسيط في بادئ الأمر، لكن قلما تجدون مثالا أروع من ذلك للتعبير عن المشاعر والعواطف. كان هؤلاء قوما كانت خدماتهم ماثلة أمام عيني رسول الله ﷺ دوما، وكانت تضحياتهم تتم أمامه في كل حين وآن، وكانوا يحبون رسول الله ﷺ حبا لا يوجد له مثيل في أي علاقة دنيوية. فمن المنظور المادي ومن منطلق المشاعر، كان ينبغي أن يكون رسول الله ﷺ أكثرَ اهتماما بمشاعرهم وأحاسيسهم، وأن يكون أقل محبةً لنا بالمقارنة لمحبته منهم (أي كان المفروض أن يكون حب النبي ﷺ لنا نحن الذين جاءوا بعد الصحابة في هذا العصر أقلَّ كثيرا من حبه للصحابة الذين كانوا معه وكانوا يعبّرون له عن حبهم له كل حين وآن)، لكن محبة رسول الله ﷺ اللامحدودة (بقدر ما يمكن أن تكون المحبة البشرية غير محدودة) لم ترضَ أن تكونوا أنتم -أي نحن الذين نعيش في هذا العصر- أقلَّ همةً، بل لم ترضَ محبته العظيمة أن تكون أفراد الأمة في عصورها الوسطى أيضا قليلي الهمة، فقال ﷺ في مجلس بشأن الذين سيأتون بعده: "إخواني الذين سيأتون بعدي سيكونون كذا وكذا". فشعر الصحابة ﵃ بالغبطة وقالوا: 'أهُمْ إخوانك ونحن لسنا إخوانك. إننا نعيش معك ولكنك لم تصفنا بكلمة "إخوانك"، أما الذين سيأتون بعد فتسميهم إخوانك؟ فقال ﷺ: 'أنتم أصحابي، وهم

إخواني". أي أليست بنعمة عظيمة عليكم أنكم تروني وتخدمون الدين عائشين معي؟ لا شك إنها نعمة عظيمة عليكم، أما الذين لن يروني، والذين سيأتون بعدي، فدعوني أقول كلمة عنهم أيضا حتى يطمئنوا ولترتفع هممهم. وهكذا رفع النبي ﷺ همم الذين يأتون فيما بعد. فانظروا كيف رفع ﷺ هممَكم بقوله: "لا أدري أأوّلُ أمتي خيرٌ وأفضلُ أم آخرها".

وهناك روايات أخرى بشأن شهداء مؤتة. ورد في كتاب "البداية والنهاية" للعلامة ابن كثير بعد ذكر هؤلاء الشهداء أن عددهم كان اثني عشر شهيداً. وبعض الروايات تذكر أن عددهم أكثر من ذلك.

على كل حال، إنها لمعجزةٌ عظيمة أن يلتقي جيشان، أحدهما يقاتل في سبيل الله، وعددهم ثلاثة آلاف مقاتل فقط، وآخر عددهم مئتا ألف، مائة ألف من الروم ومائة ألف من النصارى، ويخوضان معركة ضارية، ومع ذلك لا يُستشهد من المسلمين إلا اثنا عشر فقط، أما المشركون فقد هلك عدد كبير منهم.

قال خالد ﵁: "في ذلك اليوم، كُسرت في يدي تسعة سيوف، ولم يثبت في يدي سوى سيف واحد يماني." ومن هنا يمكنكم أن تقدروا كم من المشركين قد هلكوا بسيوفه تلك؟

وورد بشأن عودة المسلمين إلى المدينة ثم استقبال النبي ﷺ والصحابة لهؤلاء العائدين: مر المسلمون عند قفولهم من مؤتة بقرية بها قلعة، وكان أهلها قد قتلوا مسلما عندما مروا بها ذاهبين للقتال، فحاصر المسلمون هذه القلعة حتى فتحوها، وقتل خالد ﵁ زعماءها.

وحينما قفل المسلمون إلى المدينة من معركة مؤتة، خرج لاستقبالهم النبي ﷺ والصحابة ﵃، لكن بعضهم كانوا غاضبين عليهم بأنهم لماذا لم يُستشهدوا في المعركة، وأن ما حصل ليس فتحا، فأخذوا يحْثون التراب على هؤلاء الجنود القافلين ويعيّرونهم قائلين: "يا أيها الفارّون! لقد هربتم من سبيل الله تعالى." فقال النبي ﷺ: "إنهم ليسوا بفارّين، بل هم الكرّارون" (أي الذين يعودون ويهاجمون مرة أخرى).

عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: عندما رجع المسلمون من معركة مؤتة رجعت أنا أيضا معهم. وفي رواية أنه قال: كنا خجلين بأننا قد فررنا من القتال، وكنا نظن أننا هربنا من المعركة (والواقع أن العدو نفسه كان قد انحاز عن ساحة القتال، فلم يتعقبه المسلمون، واغتنموا الفرصة ورجعوا، وهذه كانت استراتيجية قتالية جيدة، ومع ذلك ظن بعضهم أنهم قد فروا من الزحف. يقول ابن عمر): وقال أحدنا لو دخلنا المدينة لقُتلنا، فدخلنا المدينة ليلا واختفينا. (كان بعضهم خجلين لدرجة أنهم لم يدخلوا المدينة إلا ليلا واختفوا). ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فاعتذرنا إليه، فإنْ كانت لنا توبة وإلا ذهبنا (أي ذهبنا للقتال ثانية أو ذهبنا من المدينة نفسها) فأتينا النبي ﷺ قبل صلاة الفجر،

فقال: مَن القومُ؟ قلنا نحن الفرّارون (كانوا خجلين جدا فقالوا بأنفسهم نحن الفرارون من هناك). فقال ﷺ: بل أنتم الكرّارون، وأنا فئتُكم، أو قال: وأنا فئة كل مسلم. فقبّلنا يده.

فالنبي ﷺ قد عاملهم ببالغ اللطف والشفقة.

ثم هناك سرية تسمّى سرية عمرو بن العاص ﵁، وقد وقعت في جمادى الثانية من العام الثامن الهجري. ويقال أيضًا وقعت في العام السابع الهجري. وقد أجمع الجميع، ما عدا ابن إسحاق، على أنها كانت بعد غزوة مؤتة التي كانت في جمادى الأولى من العام الثامن الهجري.

وورد عن سبب هذه السرية أن رسول الله ﷺ تلقى أنباء تفيد بأن جماعة من بني قُضاعة يتجمعون للهجوم على ضواحي المدينة. وبنو قُضاعة قبيلةٌ قحطانية كانت تقطن ما وراء وادي القرى على بُعد عشرة أيام من المدينة.

ورد أيضًا بهذا الشأن أن رسول الله ﷺ أرسل بعد غزوة مؤتة بفترة قصيرة عمرَو بنَ العاص ﵁ لمعاقبة هؤلاء القوم. وعمرو بن العاص ﵁ هو ابن العاص بن وائل، أحدِ سادات مكة، وقد أسلم عمرو ﵁ في العام السابع من الهجرة، أو في العام الثامن بحسب رواية أخرى. يقول عمرو ﵁: بعث إليّ النبي ﷺ يأمرني أن آخذ ثيابي وسلاحي، فقال لي: "يا عمرو إني أريد أن أبعثك على جيش، فيُغْنمك الله ويسلّمك". قلت: إني لم أسلم رغبةً في المال. فقال النبي ﷺ: "نِعْم المال الحلال الصالح للمرء الصالح". (أي صحيح أنك لم تسلم من أجل المال ولكن لو أعطى الله المال فهذا أمر جيد. ثم إن رسول الله ﷺ أعدّ تحت إمارة عمرو جيشا قِوامه ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار، بينهم ثلاثون فارسا.

فعقد ﷺ لعمرو لواء أبيض وجعل معه راية سوداء. وأمره أن يستعين بمن مر به من بَلِيّ وَعُذْرَةَ وَبَلْقَيْنِ. كان عمرو ﵁ يمتلك مهارة خاصة في الحرب، وكان يعلم بفنون القتال. وقد عيّنه رسول الله ﷺ أميرًا لهذه السرية بسبب مهارته الحربية. ومن أسباب إرسال عمرو ﵁ في هذه السرية أيضًا أن جدته كانت من قبيلة بلي، ولذلك كان بإمكانه أن يكون وسيلة مناسبة لإقامة علاقات طيبة مع بني بلي.

خرج جيش المسلمين فسار الليل وكمن النهار حتى وصل إلى منطقة قبيلة جُذام بالقرب من عين "سلاسل". ونسبةً إلى هذه العين، سُميت هذه السرية بـــ"سرية ذات السلاسل".

ورد أيضا ذكر وصول المدد من المدينة. فلما بلغوا قريبًا من العين علموا أن للأعداء جمعًا كثيرا، فبعث عمرو ﵁ رافع بن مَكيث إلى رسول الله ﷺ يستمده، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح ﵁، وعقد له لواء. وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وأمره أن يلحق بعمرو، وأن يكونا جميعا ولا يختلفا. وكان يريد بذلك أن يكونا جميعا ولا يختلفا وأن يظل عمرو أميرا. ورد في تفصيل ذلك أن في مناسبة جمع المسلمون الحطب يريدون أن يوقدوا نارا ليصطلوا عليها من البرد، ولكن عمرو منعهم. وفي رواية أن عمرو حين منعهم من إشعال النار غضب عمر بن الخطاب

وهمَّ أن يأتيه، فنهاه أبو بكر وأخبره أن رسول الله ﷺ لم يستعمله إلا لعلمه بالحرب. عندما عاد عمرو ﷺ، أخبر رسول الله ﷺ أنه كره إشعال النار لئلا يرى العدو قلة عددهم فيستدعي تعزيزات ويهاجمهم. فأثنى عليه رسول الله ﷺ.

باختصار، ورد في التفصيل أن المسلمين ساروا من هناك حتى وصلوا إلى منطقة العدو وداسوه وانتصروا عليه. عندما انتهوا إلى موضع بلغهم أنه قد كان به جمع فلما سمع العدو بمجيء المسلمين تفرق، فتعقب المسلمون العدو حتى لقوا جمعا ليسوا بالكثير، فحمل المسلمون عليهم فهزموهم وتفرق الباقون. وأقام المسلمون هناك أياما لا يسمع لهم بجمع ولا مكان صاروا فيه إلا قاتلهم عمرو وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاء والنعم. ثم انطلق المسلمون عائدين إلى المدينة، وبعث عمرو عوفَ بن مالك الاشجعي ﷺ بشيرا إلى رسول الله ﷺ بقفولهم وسلامتهم وما كان في غزاتهم.

ثم ورد ذكر سرية أبي عبيدة بن الجراح ﷺ. وقعت هذه السرية في رجب ٨ هـــ. لقد سجل حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ في نهاية كتابه "سيرة خاتم النبيين ﷺ" فهرسا مقترحا لما بقي من السيرة النبوية، ووفقًا لذلك، فإن سرية أبي عبيدة ﷺ وقعت في رجب ٨ هـــ، الموافق لنوفمبر ٦٢٩م.

ولهذه السرية أسماء أخرى. تُعرف هذه السرية باسم سرية "سِيف البحر" و"سرية خبط" أيضًا. وسيف البحر تعني ساحل البحر، وسميت بهذا الاسم لأن الصحابة ﷺ نزلوا على ساحل البحر الأحمر خلال هذه السرية. أما تسميتها سرية خبط، أي "جيش أكلة الأوراق"، فذلك لأن الصحابة ﷺ اضطُروا في أثناء هذه السرية إلى أكل أوراق الأشجار.

كان أمير هذه السرية أبو عبيدة بن الجراح ﷺ بعثه النبي ﷺ في ثلاثمائة راكب من الأنصار والمهاجرين إلى فرع لبني جُهينة. وكان في هذا الجيش حضرة عمر ﷺ أيضًا. وكان بنو جهينة يقيمون بالقبلية. وهي تقع قرب ساحل البحر على مسافة خمس ليال من المدينة.

يُذكر أن الهدف من هذه السرية كان حماية عير لقريش مكة كانت تحمل الغلة وتسير على ساحل البحر من الشام إلى مكة، حيث كانت معرضة لخطر الهجوم من قبيلة جهينة. وكان ذلك في زمن صلح الحديبية، وبما أن جهينة كانوا حلفاء رسول الله ﷺ، فقد اتخذ ﷺ تدبيرًا حكيمًا بإرسال سرية حماية احتياطية إلى تلك المنطقة لمنع التعرض لقافلة قريش القادمة من الشام، حتى لا يجد قريش حجة لنقض معاهدة الصلح. لقد أُرسلوا لحماية قافلة قريش كي يضمنوا سلامتها من أي هجوم محتمل من القبائل القاطنة في المنطقة، وذلك لأن صلح الحديبية كان قد أُبرم مما أوجب على المسلمين حماية الكفار التزاما بهذه المعاهدة الجديدة. لهذا السبب أرسل النبي ﷺ جيشًا مكونًا من ثلاثمائة رجل لحماية القافلة حتى تمر بسلام. يتضح من ذلك أن الصحابة لم يذهبوا للقتال، ولذلك لا نجد ذكر أي قتال خلال إقامتهم التي استمرت أكثر من خمسة عشر يومًا.

ورد بعض التفصيل عن انطلاق هذه السرية وعن فناء الزاد، قال جابر ﷺ عن هذه السرية: بعثنا رسول الله ﷺ في ثلاثمائة راكب، أمّر علينا رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح ﷺ و لم نمض طويلا حتى فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش (أي ليأت كل ما عندهم من الزاد) فجمع فكان مزود[1] تمر، وكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا، ثم صار يعطينا تمرة تمرة حتى فني. وفي رواية سأل الراوي جابرا: ما تغني عنكم تمرة، قال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت. (أي عندما لم يبق شيء حينها شعرنا بأنها أيضا كانت غنيمة) وفي رواية أن جابرا ﷺ قال: كنا نمصها طول النهار ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا إلى الليل.

قال جابر ﷺ: فَأَقَمْنَا بِالسَّاحِلِ نِصْفَ شَهْرٍ نَرْصُدُ عِيرَ قُرَيْشٍ فَأَصَابَنَا جُوعٌ شَدِيدٌ حَتَّى أَكَلْنَا الْخَبَطَ فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْجَيْشُ جَيْشَ الْخَبَطِ. قال: بسبب هذا الطعام أصبحنا ضعفاء جدًّا، وأصيبت شفاهنا وأطراف أفواهنا بالجروح، حتى إن شخصًا قال:لو لقينا عدوا ما كان بنا حركة إليه لما نالنا من الجهد ولما استطعنا مواجهته.

ورد ذكر نحر الإبل أيضًا من أجل الطعام. قَالَ جَابِرٌ ﷺ: كَانَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ نَحَرَ ثَلَاثَ جَزَائِرَ ثُمَّ نَحَرَ ثَلَاثَ جَزَائِرَ ثُمَّ نَحَرَ ثَلَاثَ جَزَائِرَ ثُمَّ إِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ نَهَاهُ.

ويُعلم من كتاب السِيَر أن هذا الرجل كان قيس بن سعد ﷺ. قال قيس بن سعد: من يشتري مني تمرا بجزور أنحرها هاهنا وأوفيه الثمن بالمدينة؟ أيْ لما رأى حالة جوع الصحابة قال: أشتري الجزور هنا وأنحرها لكي أهيئ لكم الطعام.

كان عمر ﷺ موجودا فقال: يا عجبا لهذا الشاب! ليس لديه من مال وهو يتصرف في مال الآخرين، وأنى له أن يعطي المال بعد وصوله إلى البيت، إذ ليس لديه نخيل.

لقي قيسٌ رجلا من جهينة فقال: بعني جزورا وأوفيك ثمنه من تمر المدينة. قال الجهني: والله ما أعرفك من أنت؟ قال: أنا قيس بن سعد بن عبادة. قال الجهني: ما أعرفني بنسبك إن بيني وبين سعد خُلة سيد أهل يثرب، فابتاع منه خمس جزائر كل جزور بوسق من تمر. (أي مقابل تمر قدرها ٧٥٠ كيلوغراما تقريبا) قال الجهني: أشهدْ لي. فأشهدَ له نفرا من الأنصار ومعهم نفر من المهاجرين. قال عمر بن الخطاب: لا أشهد، هذا يدان ولا مال له إنما المال لأبيه. (أي أنه لا يملك النخيل وإنما النخيل لأبيه، فمن أين سيعطي التمر)

على أية حال، فلما قدم الجيش المدينةَ سأل سعدٌ قيسًا: ما صنعتَ في مجاعة القوم حيث أصابتهم؟ قال: نحرتُ. قال ثم ماذا؟ قال: نحرتُ. قال: ثم ماذا؟ قال: نُهيتُ. قال سعدٌ: من منعك؟ قال قيسٌ: أبو عبادة. قال: و لِمَ؟ قال: زعمًا أنه لا مال لي وإنما المال لأبي.

---

[1] المزود: الوعاء الذي يُحمل فيه الزاد ونحوه. (المترجم)

قال سعدٌ: أعطيك أربعة حوائط، أدنى حائط منها تجد منه خمسين وسقا. (هذا مقدار كبير يصل إلى عدة مئات من الكيلوغرامات) وكتب سعدٌ بذلك كتابا وأشهَدَ أبا عبيدة وغيره. وقدم شخص من الجهنية المدينة مع قيس فأوفاه أوسقه وحمله وكساه.

عن جابر قال: بلغ رسول الله ﷺ ما فعَل قيسٌ، قال: إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت.

يكتب سيد زين العابدين ولي الله شاه ﵁ عن هذا الحادث: إن صبر الصحابة الكرام ﵃ الكبير في شدة الجوع، وعدم تعرضهم لأي قافلة أو قرية للحصول على الطعام، هو دليل كافٍ على أن الغزوة المذكورة لم تكن من أجل حرب، وما كان هؤلاء الأطهار يرون الظلم أو الاعتداء على أحد جائزاً.

وفي هذه الحالة أيضا دبّر الله تعالى لسدّ جوعهم. فقد جاء بهذا الشأن، إذ يقول جابر في بيان وقائع هذه السرية: انطلقنا على ساحل البحر فألقى إلينا البحر دابة يقال لها العنبر. وفي لفظ حوتا.

يقول العلامة الأزهري إن العنبر حوت بحري كبير يبلغ طوله إلى ما يقارب خمسين مترا. يقول جابر: أكلنا منه نصف شهر. وفي رواية ثماني عشرة ليلة أو شهرا كاملا. (أي في أثناء إقامتهم وإلى يوم عودتهم) وادهنا من ودكه حتى عادت أجسادنا كما كانت. (أي زال الضعف الذي أصابهم بسبب الجوع).

قال جابر ما معناه: كانت عيناه مثل جرتين كبيرتين وأخرجنا منه عدة جرار زيتا وقطعنا من جسده قطعات كبيرة وبعنا شيئا من لحمه في الأسواق أيضا.

بخصوص الجلوس في عين الحوت، هناك روايتان مختلفتان: يقول جابر ﵁ إن ستة أشخاص جلسوا في عينه. وتقول رواية أخرى إن ثلاثين شخصًا جلسوا فيها.

أمر أبو عبيدة بضلع من أضلاعه فنُصب. وفي رواية: ضلعين فنُصبا. ونظر إلى أطول رجل في الجيش – وهو قيسٌ– وأطول جمل فحمله عليه ومرّ من تحته راكبا فلم يصبهما.

وقد ورد عن العودة إلى المدينة: قال جابر: فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا له ذلك فقال: رزق أخرجه الله تعالى لكم، فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا؟ قال: فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله.

إلى هنا انتهى بيان اليوم، كنت أنوي أن ينتهي هذا البيان لتبدأ مواضيع أخرى لكن تخلل الخطب ذكر بعض الشهداء لذا بقي جزء من هذه الوقائع، ثم سيأتي ذكر فتح مكة. على أية حال، هذا الذكر سيستمر مستقبلا.

أود أن أقول اليوم أيضاً، كما قلت الجمعة الماضية، يجب أن ندعو كثيرا بخصوص حالة الحرب القائمة بين باكستان والهند، أن يسود بينهما جو من الصلح والسلام لأن الأسلحة المستخدمة في الحروب هذه

الأيام تقتل المدنيين أيضاً، وهم يُقتلون بالفعل في الوضع الحالي المتأزم. لذلك يجب علينا الدعاء أن يوافق الطرفان على الصلح ويتجنبوا خسائر كبيرة.

وبهذا الشأن، يجب أن نتذكر أن في هذه الأيام يعلّق الناس بحرية ويقولون ما يشاؤون على وسائل التواصل الاجتماعي أو غيرها من وسائل الإنترنت والإعلام الإلكتروني، مما يسبب ضرراً أكثر من النفع، إذ يعبِّرون بشدة عما يريدون. ينبغي على الأحمديين تجنب ذلك لأن في هذا التعبير ضررا أكثر من النفع. إذا كان لدى أحد رغبة قوية في إيصال رسالة ما، فلتكن مبنية على السلام والأمان. ألّف المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في أواخر حياته كتابا بعنوان: "رسالة الصلح" وكانت رسالته هي السلام والصلح. لذلك يجب على كل أحمدي أن يتذكر هذا ويسعى لأجله. نسأل الله تعالى أن يحمي الأرواح البريئة من الأذى.

يبدو أن بعض القوى الكبرى تحاول تأجيج الوضع. إنهم يريدون أن تتقاتل القوتان وتضعفا، وأن تُباع أسلحتهم أيضاً. نسأل الله تعالى أن يحمينا من شرورهم.

كذلك اُدعوا لشعب فلسطين أيضاً. نسأل الله تعالى أن يهيئ لهم سهولة ويسرا وأن يتمكنوا من العيش بسلام في بلدهم. لكن يبدو ظاهرياً أنه لا إمكانية للسلام، بل الجهود جارية على إخراجهم من هناك بأي طريقة، وجميع القوى تشارك في ذلك. نسأل الله تعالى أن يهب للدول الإسلامية عقلا وفطنة فيتّحِدوا. وإذا فعلوا ذلك يمكن أن تنحل كثير من المشاكل. أما إذا اندلعت حرب عالمية، فإن اعتقاد بعض الناس وبعض البلدان بأنهم سينجون منها خاطئ، بل ستشمل الجميع في طياتها.

لذلك يجب على الجميع تجنُّبَ هذا الفهم الخاطئ. نسأل الله تعالى أن يحفظ الجميع. الحل الوحيد، كما أقول دائماً، هو أن يتوجهوا إلى الله تعالى، وهذا هو السبيل الوحيد الذي يمكن أن ينقذهم، ولا سبيل آخر. نسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لذلك.

****